

المدارس والأخلاق

« لا تقوم واجبات المدارس بتعليم العلم فقط بل إن بث روح الفضيلة والاقدام من
أخص واجباتها »

جول سيون

تنبه الناس حديثاً لانشاء المدارس في الشرق ورغب بعضهم فيها بعد ان ذاقوا لذة
العلم ورأوا عظم تأثيره في الغرب فعملوا على تأسيسها جهدهم ولم يمض زمن حتى كثرت
معاهد العلم وتعددت لاسيما في اليابان مملكة الشمس المشرقة مدعثة العالم بسرعه ترقبها .
أقي على بلادنا ازمان غفت فيها آثار المدارس او كادت الا ما كان هناك من كتابيات
قليلة ضئيلة فمادت تنفض عنها غبار الاهمال وتزهو بما أنشيء فيها من بيوت العلم حتى
اوشكت تضاهي بعض بلاد الافرنج العامل اهلها على توطيد اركان العمران فيها والخلاص
من مستوبل القاسد بالثفاقت على العلم والرغبة في التهذيب توصلاً الى بلوغ الكالات
الانسانية والتمتع بما يجعل الحياة على الارض هنيئة صافية لا شر فيها ولا شقاء وهو كما يسر
ولا جرم المحبين المتصفين ويحقق آمال العاملين المخلصين وينبيء بسنقبل باهر وارنقاء أكيد
ينهض بالشرق من كبوته ويميده الى سابق عظمته

ولقد مرت على مدارسنا اعوام وهي الى يومنا هذا لم تعن بتحدين الاخلاق واصلاح
الملكات والمعادن اعتدلتها بقواعد اللغات والرباضيات والطبيعات على حين نرى الحاجة
ماسة الى تقويم اود الاخلاق وعجن النفوس في مركز الوطنية وحب الخير والاحسان وتنظيفها
من اقدار ما توالى على البلاد من النوائب والاحن وعوامل الجهل والانحطاط وتشتتها على
الجرأة والعزم والحزم والاقدام والتساهل والمسالمة والتعاوض والاتفاق وتدريبها على الصدق
والاخاء والاجتهاد والترتيب والاقتصاد وتقويتها على احتمال انتقال الحياة ومتاعب العمر
وتذليل العقبات ومقاومة انجارب العنفة والنزاهة والذكارة بالصبر والترفع عن الصفات والتمسك
باهداب الفضائل والنهوض الى معالي المجد والخير باحق وعدم الاعتداد بالقييل والقنال
والثشب باهداب المحال وتريبتها على احترام حق الضيف واکرام المستحق ومعاونة الفامر
وتنسيب السنتعد وطلب النافع ونبد المضر الى غير ذلك مما يؤهل المرء ليجسن القيام بواجباته
والتمتع بحقوقه ويؤدي به الى ما يتناه له المصلحون . وهذه كما رأيت امور اولية ينبغي ابقاها
على كل شيء

وقلنا نظرت مدارسنا مع ما فيها من العلماء والادباء وما لي من الفضل في اارة الالذهان

وترقية العقول وتوسيع المدارك الى تلك القومات نظر حكيم مخلص يعرف كيف يداوي الاعلاء وتقويم ادوايه الامم ولم تقصر جل اهتمامها الا على حشو الادمغة بقواعد اللغات والرياضيات والطبيعات على ما مر بنا آنفاً غير مفسحة للادبيات والاجتماعيات الا القليل من اوقات الدراسة فيها كأنها تجهل قيمة النفس وتأثير الاخلاق في الوجود . والانكى ان ما تعلمه الواحدة ونذهب اليه تشجيه الاخرى وتبعد عنه وما تحض عليه هذه تقاومه تلك اذ ندر وجود مدرسة عندنا لاغاية لها في العلم ولا مأرب خاص على ان العلم لا مشرب له ولا دين كما قال المقتبس الاغر في عدد اسبق

ولا تنحصر واجبات المدارس فيما تجري عليه مدارسنا الحاضرة التي تنفق الاولاد كثيراً من الامور الطاهرة الآتية مهيم اليها وتضعف فيهم اميالا سامية فطروا عليها مذ تكونوا في احشاء امياتهم وتلاشي منهم نزعات شريفة وورعائب عظيمة مقدسة وتبث فيهم مبادي تافهة وتعودم عادات سيئة وتمكن منهم اخلاقاً فاسدة وتنشئهم على التعصب والادعاء والكبرياء والضعف والجبن والكذب والرياء وما اشبه ذلك من النقصان التي اكلت من لحمنا وشربت من دماننا مئين من السنين حرمتنا فيها المتناء والارتقاء . ولولا اعداد المدارس طلبتها للاستنارة بنفوسهم لنفوسهم وتأهيلها لهم بالعلم لدرس الآداب والعمل على تحسين الاخلاق لما بالفنا اذا قلنا ان مدارسنا اضرت قدر ما نعت . ومن راقبها بنزاهة واخلاص ويبحث في طرائق التربية فيها بحثاً دقيقاً اذا جاز لنا ان نقول ان فيها تربية تشفع له الحقيقة باجلى بيان . . . واصلاح المدارس خير اساس يجب ان يقوم عليه الاصلاح

الضغط على العقول وارهاق الوجدانات وخنق الافكار ومعاكسة التواضع ومعاملة التلاميذ بالتسوية والجور والشراسة والاستبداد والشم والضرب وقلة الادب على نحو ما بينت ذلك في فصل من كتابي الانسان ابن التربية (١) واثار اهواء المعلمين على القوانين وما رآب الوالدين على مصالح البنين وعدم الاعتداد بالفرائض وعدم تنشيط المعزائم وتعمير الصدق والجراة والاقدام وعدم جعل المعلمين انفسهم قدوة حسنة للتلاميذ وتطبيق المعافاة الخاصة والعامة على اقوالهم وما شاكل ذلك مما يأتي به كل معلم غير مؤهل للتعليم باخلاقه وآدابه على ما نشاهد في كثير من مدارسنا مما لا حاجة الى اعادة ذكره الآن واثارة الأشجان بتعماده — كل هذا اساس فساد الاخلاق في المدارس

راقبت مرة طلبة احدى المدارس في وقت الراحة فرايت امر تليذ منهم كان كمن يبحث

عن ضائع وعرفت بعد البحث انه يحمل (السنيال) (١) وقد رأيت به يأتي من ضرورب الرياء والتجسس ما احزنني على مستقبله ومستقبل ابناء مدارس من مثل هذه تدرّب بنهيا على عادات سيئة واعمال دينية . وهل اسوأ وادنى من جاسوس يفتاب الناس وينهم بهم . ولو اعترض احد على مثل هذه الامور لاحتجت المدارس على اتيانها بيجيج وبراھين لا تخرج عن حد (الغاية تبرر الوسطة) وعندني ان شرف الاخلاق وابعاء النفس مع العلم القليل خير من الصغار والدناءة مع انقافن التكلم بعدة لغات

من المسؤول عن فساد اخلاق شبان العصر وسوء احوالهم الادبية يا ترى غير البيوت والمدارس ؟ واذا كانوا اللادون على ما يهدم الجميع لا يعرفون من شؤون التربية غير اسمها ولا من الاخلاق الا ما شهبوا عليه ولا من العادات سوى ما تأصل فيهم افلا يجدر بالعلمين المتعلمين المهنيين ان يعوضوا عن هذا النقص جهدهم ويسدوا من الخلل ما يستطيعون ؟ نعم لا انكر ان المعلمين اليوم هم ابناء هذه المدارس ايضاً وما يتقاضونه من الرواتب لا يرغب في المهنة المهرة البارعين ولا يدني منها غير الكسالى العاجزين في اغلب الاحوال ولكن اين تأثير الادارة والرئاسة ورواتب المديرين والرؤساء لا تحول دون انتخاب المستمدين والمستعدون على ازدياد ؟

يقولون اكثرنا من المدارس واستكثرنا . ولا نجاح لنا بلا مدارس ولا ارتفاع . ولكن فانهم ان ما عندنا منها لو عرفت كيف تربي اخلاق بنهيا على ما يعوزنا لكان الاغنياء منهم ينشئون المدارس من تلقاء انفسهم دون ان يهجونا الى النداء والمطالبة والحكمة يديرونها حسب الاصول دون استبداد بالاولاد وتلاعب بالحاسات والمعلمون يهذبون النفوس ويكفوننا مؤونة الكلام في هذا الموضوع الخطير . وقد كثرت مدارسنا وحسبنا من انواعها ما عندنا وخير من زيادتها ايضاً العناية بتحديد طرق تربية الاخلاق فيها وهذا الركن العظيم الذي يتوقف عليه نجاح الامة

لا ريب ان المدارس تكيف الامم وبواسطتها تستطيع كل امة تغيير ما تريد من عاداتها ومبادئها واخلاقها اذا توحدت فيها غاية التربية والتعليم ووافق كلاهما حاجات الامة لاسيما وابعاء المدارس وبناتها سيصبحون يوماً آباء وامهات يتولون تربية الاولاد الاولى الاساسية التي تدوم آثارها بدوام الممرو ولا بلاشيبها الا القبر . فلي المدارس نفظ بكمنا ان نعمد الآن في تهذيب الاخلاق واصلاحها هذا اذا عرفت كيف نتوصل الى ذلك بالتربية الصحيحة والتعليم القويم . وقد اكثر العلماء والفلاسفة الغابرون والحاضررون من ايفاح اصول

(١) تلامذة يتناقضها الطلبة الذين يتكلمون العربية اوقات اللعب في بعض المدارس الافرنجية

التربية والتعليم وما على من تعاضى صناعة التدريس ويتولى شيئاً من امور المدارس الا
مراجعة ذلك في اماكنه ودرسه حتى دراسته والتجارب ما يلائم حالة السكان ويوافق
حاجاتهم والقائه تمام الاثقان والآ فسدت اعمالهم وساءت نتائجها كما هو الواقع لعبدنا
وبعد فكيف نرجو إيجاد امهات مدركات واباء عاقلين نعتمد عليهم في تنشئة ابناء الغد
على المبادئ السامية والاهابة به الى اسمى قمم الاجتماع وادراك مراتب التقدم الرفيع
وهذا رسنا الحاضرة لا عناية فاه بالاخلاق كما ينبغي ؟ كيف ننمي بلوغ المجد والاخذ بحظ
وافر من الانسانية وحفظ الثروة واحسان التمتع بالحقوق والقيام بالواجبات واخلاقنا على ما هي
من الفساد والالتواء ؟

الاخلاق الاخلاق خير ما تطالب به المدارس واصلاحها من الاوليات الضروريات
التي يجب ان تنحصر مقاصدها وتسد اليها خطى المسمى . وعلى كل معلم ان يضع هذه الغاية
الشريفة نصب عينيه ويلبغ بذكرها في الليل والنهار كيفما حلّ وسار . ولا ينبغي المرء عن
شريف الخصال مال ولا جاه ولا عزّة ولا بنون ولا ينيله حب الناس واحترامهم وتنعيم له
الا ما فطر عليه من كريم اشجابا وما اعتاده من حميد العادات . وما الاخلاق في عرف
الناس الا مجموع عادات والعادة نتيجة ممارسة

فاذا قام الوالدون والعلمون بالوسائل الفعالة على منع الاولاد من ممارسة كل ما لا يحسن
بهم ان يعتادوا عليه يحفظوا لهم مستقبلهم من ثقل وطأة تلك العادات ويخلصهم من شرها
واذا فات ذلك الاباء والامهات لجهل وغيابة لا يجب ان يغوت الاساتذة الذين بدعون
العلم والمعرفة ويتصلون من وصمة الجهل والنباوة

جرجي نقولا باز

بيروت

ميت الاحياء وحي الاموات

تبقى فما انت بالخالد	ولا صرف دمرك بالرائد
تخلد بسبك مجداً بدوم	دوام النجوم بلا جاحد
وابقى لك الذكر بالصالحات	وخل النزوع الى الفاسد
ورد ما يناديك عنه الصدور	الا درّ درّك من وارد
ومر بين قومك في سيرة	تمت الخمود من الحافد
فان فتى الدهر من بدعي	فأني اعاديه بالشاهد

ولا تنك مرمي ببداء الكون
 ولكن رجلاً في العلي حو لآ
 اذا اطردت حركات الحياة
 ولم تتنوع اذانيها
 ولم تتجدد لها شماعة
 فما هي الا حياة السوام
 فنصبح كالخجر الجامد
 نفنن في سيرة الراشد
 وجهات علي نسق واحد
 ودامت بوجهه لما بارد
 من السعي للشرف الخالد
 تجول من العيش في نافذ

* *

وما يرتجى من حياة امره
 وليس له في غضون الحياة
 يفض على الجهل اجفانه
 كأكل الطعام وليس الثياب
 فذاك هو الميت في نومه
 كماه على سحنة راكده
 سوى النفس النازل الصاعد
 ويرفض من العيش بالكاسد
 وامرار وقت بلا عائد
 وان كان في المجلس الحشد

* *

وما المره الا فتى بفندي
 سعى للمعارف فاحتازها
 وطالع اوجه اثمارها
 فابدى الحقائق من طيبها
 اذا هو اصبح نادى البدار
 فكان المجلي في شأوه
 وان بات بات على يقظة
 واحدث مجداً طريفاً له
 وما الحق الا هو الانكامل
 فذاك هو الهى حي افتخار
 الى العلم في شرك حائد
 وصاد الانيس مع الابد
 بعين بصير لما نافذ
 والقي القيود على الشارد
 وشمر للسعي عن ساعد
 بعزم بشق على الحاسد
 بطرف لنجم العلي راصد
 واضرب عن مجده التالذ
 على شرف جاء من والد
 وان لحدته يد اللاحد